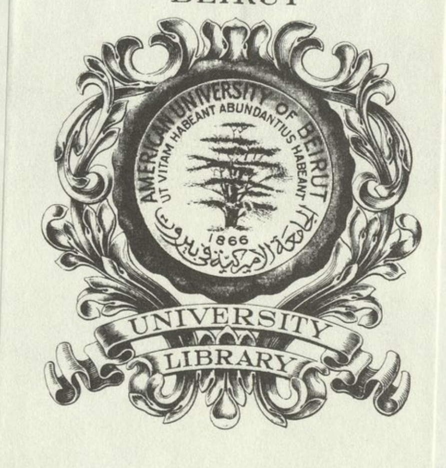

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
UT VITAM HABEANT ABUNDANTIUS HABEANT
1866
UNIVERSITY
LIBRARY

العيد المئوي

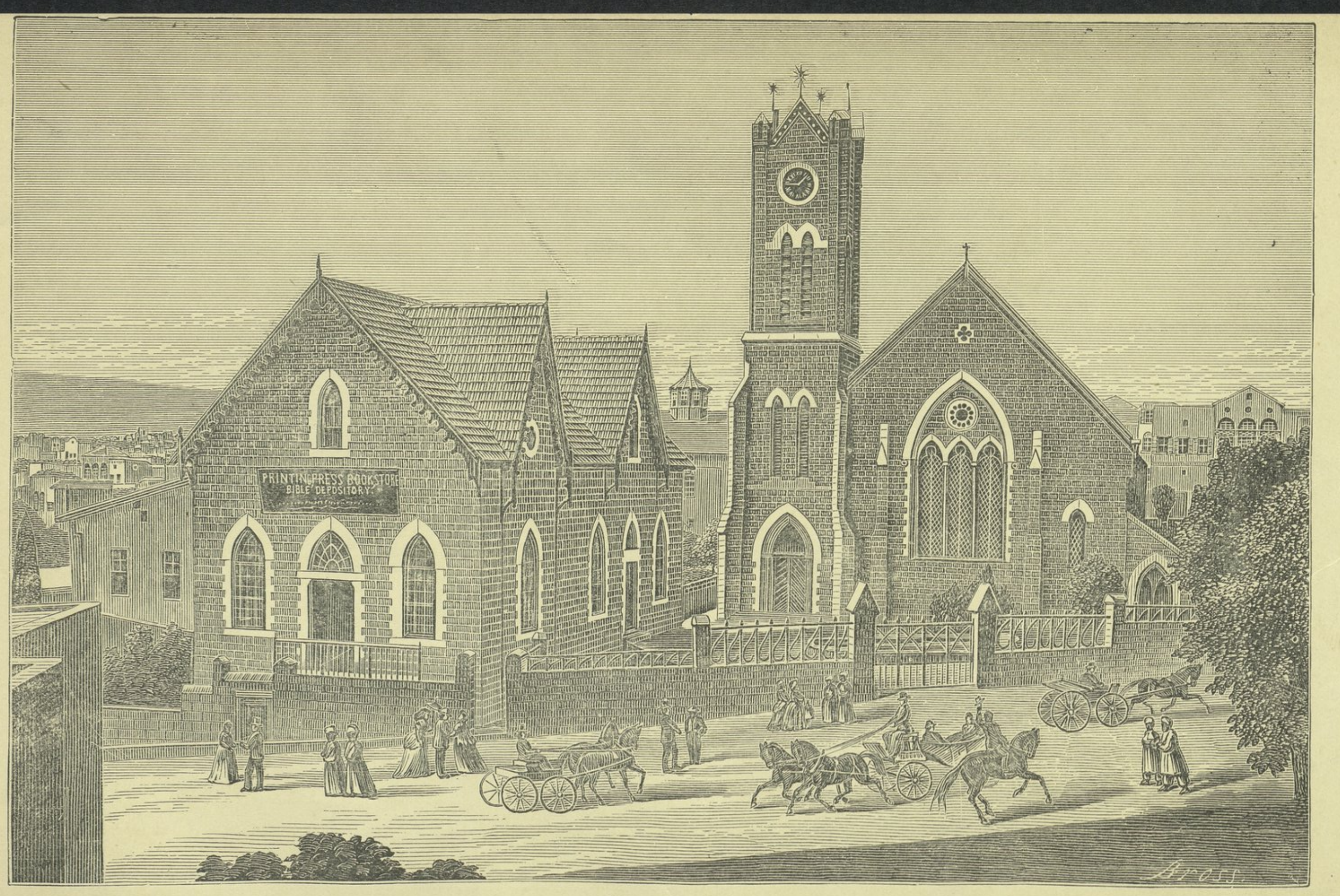
لنقل المطبعة الاميركانية



الى بيروت

٨ ايار سنة ١٨٣٤ - ٨ ايار سنة ١٩٣٤

مئة سنة في خدمة اللغة العربية



بناية المطبعة الاميركانية : بنيت سنة ١٨٧١ بجانب الكنيسة الانجيلية والجناح السفلي الى اليسار
هو البناء الاول الذي شيد قبل ذلك بعدة سنوات



"وينبغي ان يكرَز اولاً بالانجيل في جميع الامم" مر ١٣: ١٠

العيد المئوي

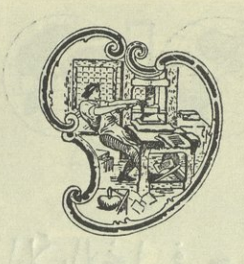
لنقل المطبعة الاميركانية الى بيروت

٨ ايار سنة ١٨٣٤ – ٨ ايار سنة ١٩٣٤

مئة سنة في خدمة اللغة العربية

احتفلت المطبعة الاميركانية منذ اثنتي عشرة سنة بمرور مئة عام على تاسيسها في مالطة سنة ١٨٢٢ واليوم بحمد الله وايده تحتفل بانقضاء قرن كامل على انتقالها الى بيروت وتخصصها بخدمة الاقطار الشرقية واللغة العربية خدمة مخلصة وهي لا ترجو من وراء ذلك الا المنفعة العامة والخدمة النصوح لمجد الله وخير القريب





نبذة في تاريخ المطبعة

في ٢ ك٢ سنة ١٨٢٢ ركب البحر من بوسطن المرسل الاميركي دانيال تمبل وقرينته وبعد سفر دام ٥٠ يومًا القى المركب مراسيه في مالطة فدخلاها في ٢٤ شباط سنة ١٨٢٢ وهناك اجتمعا بالقس ولسن والدكتور نودي اللذين اكرما وفادتهما وانسا بقدومهما . وانصرف القس تمبل منذ وصوله الى درس التركية والعربية واليونانية والايطالية وقبل مباشرته بعمل التبشير تلقى اشعارًا من مجمع المرسلية في اميركا ليؤسس مطبعة تعنى بنشر الكتب والكراريس خدمة لابناء الشرق الادنى ورغبة في تنوير الشعوب التي كانت في ذلك الوقت تتسكع في دياجير الجهل ولا تسل عن الصعوبات التي كانت تكتنف العمل والمشقـــات التي قامت في سبيله لا سيما وان المرسلين لم يكن لهم خبرة بالطباعة وكانت تلك الصناعة مجهولة في البلاد

وعمل المرسل باشارة المجمع واختيرت مالطة لتأسيس المطبعة لانها تحت الحكم الانكليزي ولم يطل الوقت حتى استصدر اذنًا بتاسيس المطبعة دون ان يصادف اقل صعوبة وكان ذلك في شهر تموز سنة ١٨٢٢

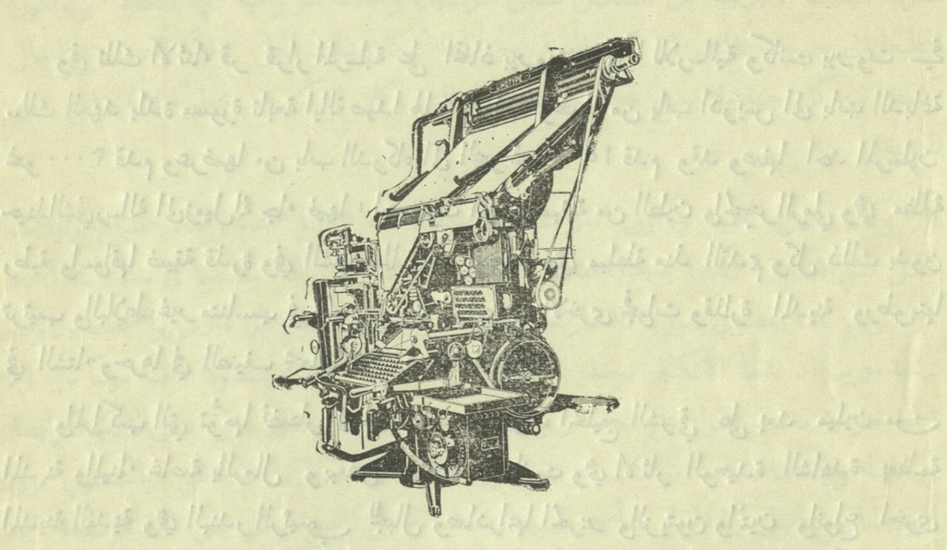
ومن الذين يقترن اسمهم بتاسيس المطبعة من المرسلين يونس كين واسحق بيرد ووليم كودل وعالي سمث وهومن هلق وبليني فسك وكلهم من الرجال الافراد والنوابغ العظام الذين اختارتهم العناية للقيام بالعمل التبشيري فغادروا اوطانهم ووقفوا النفس والنفيس على خدمة البشرية واخوانهم في الانسانية غير مبالين بالصعاب والعقبات التي قامت في وجوههم من كل جانب

وكان هم المرسلين في البدأة منصرفًا الى ترجمة انفس الرسالات في الانكليزية ونشرها باللغات المختلفة واول ما طبع في المطبعة الرسالة التي عنوانها " السبت " و "خطبة الدكتور بيسون الى البحارة" " وصلوات لايام الاسبوع" و "سوءالات الدكتور غرين ونصائحه " و "سيـــاحة المسيحي" وقد نشرت هذه الكتب بالانكليزية واليونانية والايطالية والارمنية التركية . وارسلت نسخها الى مصر وسوريا واليونان وعلى اثر نشرها تلقى القائمون بامر المطبعة رسائل التنشيط والاستحسان

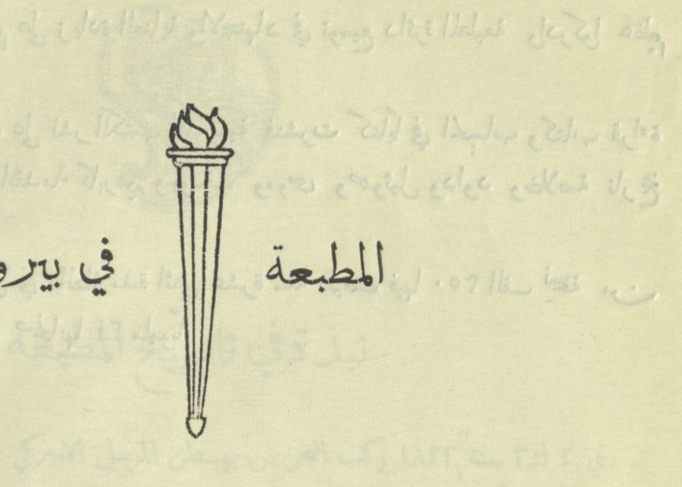
من مختلف الجهات مما شجعهم على زيادة العناية والاجتهاد في توسيع دائرة المطبعة وادركوا عظيم نفعها واهميتها

وعادت المطبعة فعملت على نشر الكتب المدرسية فنشرت كتابًا في الحساب وكتاب قراءة يتخلله سير بعض البطاركة القدماء كابرهيم ويوسف وموسى وصموئيل وداود وخلاصة تاريخ اليونان

وظلت المطبعة في العمل في مالطة مدة اثنتي عشرة سنة طبعت فيها ٣٥٠ الف نسخة من كتب وكراريس مختلفة عدد صفحاتها ٢١ مليونًا



«اللينوتيب» او منضدة الحروف وهي الالة الحديثة التي ادخلتها المطبعة في عداد طابعاتها سنة ١٩٢٢ وكانت بذلك اول من ادخل هذه الالة الى الشرق وهي تقوم مقام سبعة منضدين فضلاً عن ان حرفها جلي دائماً ويصف عليها باللغات العربية والفارسية والانكليزية والافرنسية



المطبعة في بيروت

وفي تلك الاثناء قر قرار المرسلية على اتخاذ بيروت مركزاً للارسالية وكانت بيروت في ذلك العهد بلدة مسورة تابعة ايالة صيدا لها ٥ ابواب وطولها من باب ادريس الى باب الدباغة نحو ٣٠٠٠ قدم وعرضها من باب الدركاه الى البحر نحو ١٥٠٠ قدم وقد وصفها احد المرسلين حينذاك في رسالة الى زميل له جاء فيها : ان بيوت المدينة مبنية من الطين والحجر الرملي وهي مظلمة رطبة واسواقها ضيقة قذرة وفي الشتاء قلما تجف اوحالها وهي مبلطة منذ القديم وكل ذلك بدون ترتيب والبلاط غير متناسب في الحجم وبين الواحدة والاخرى فجوات وقذارة المدينة ورطوبتها في الشتاء وحرها في الصيف يجعلها غير صالحة للعيال

والمراكب التي تؤمها تضطر الى ان ترسو على طرف الخليج الشرقي على بعد ميلين من المدينة والميناء غاصة بالرمال وببعض عواميد الغرانيت وهي الاثار الوحيدة الشاهدة بعظمة المدينة القديمة وهي البندر الرئيسي للجبال وصادراتها الحرير والزيتون والتين وانواع اخرى من الفاكهة وفي المدينة ثلاثة جوامع كبيرة وعدد من الجوامع الصغيرة وكنيسة واحدة لكل طائفة من اللاتين والموارنة والروم الارثوذكس والروم الكاثوليك . ومجموع سكانها لا يقدر باكثر من خمسة الاف نفس

وفي السنة ١٨٣٤ راى المرسلون ان ينقلوا المطبعة من مالطة وقر رايهم ان تقسم الى فرعين فرع يكون مركزه في ازمير والاخر في بيروت يقتصر على خدمة اللغة العربية والبلاد الشرقية ولم يكن حينذاك في الشرق الادنى كلهِ سوى خمس مطابع اثنتان في مالطة للمرسليات ومطبعة للارسالية الاسقفية في اثينا واخرى للمجمع الاميركي في ازمير والمطبعة الاميركية التي نقل فرع

منها الى بيروت وكان ذلك في ٨ ايار سنة ١٨٣٤ وهو الفرع الذي ايدتهُ العناية الالهية فنما وكبر واتى باثمار جيدة وهو الذي نحتفل اليوم بانقضاء مئة سنة على نقلهِ الى مدينة بيروت

ولا تسل عن الحالة العلمية في البلاد السورية في ذلك الحين فقد كان الجهل مخيماً وقليل هم الذين كانوا يحسنون القراءة والكتابة ولم يكن في البلاد مدارس سوى بعض الكتاتيب في الجوامع والكنائس اما المطابع الوطنية في سوريا وفلسطين فلم يكن فيها سوى مطبعة صغيرة ادخلت تحت حماية الفرنسويين وثلاث مطابع لليهود في صفد ومطبعة يد صغيرة في دير مار يوحنا الشوير واخرى للروم الكاثوليك في حلب وكانت تقتصر على طبع بعض الكتب الدينية والكنسية

وفي السنة ١٨٣٠ ابتنى القس برد بناء ذات ثلاث طبقات خارج بوابة يعقوب حيث مدرسة البنات الاميركية الان فاستعمل لسكن المرسلين وللخدمة الروحية في الاحاد وبوصول المطبعة الى بيروت نقلت الى القبو السفلي من البناء وكان ذلك المحل محاطاً بالصبير والرمال تكتنفهُ من كل جهة ولا يسمع فيهِ سوى عواء الثعالب وكان السكن فيهِ خطراً لانهُ خارج سور المدينة

وكان عمل المطبعة في اول الامر متقطعاً فتوقفت سنة ١٨٣٥ لعدم وجود الطباع وتوقفت خلال سني ١٨٣٩–١٨٤١ بسبب اختلال الاحوال السياسية في البلاد ولا سيما في سنة ١٨٤٠ احينما غزا ابرهيم باشا المصري سوريا فاضطرب حبل الامن وارتحل المرسلون الى قبرص واصبحت بيروت ساحة حرب اذ نشط الانكليز يومئذٍ لمناصرة الدولة العثمانية فجردوا اسطولاً ضخماً مولفاً من ٢١ قطعة حربية معقود اللواء على السير روبرت ستوبفورد وانضمت اليهِ سفن النقل التركية المرابطة في الميناء وعددها ٢٤ و٦ مراكب حربية نمسوية يخفق عليها العلمان التركي والنمسوي وفي اليوم التالي لوصول الاسطول بدأ يصب نيران مدافعهِ على المدينة وظل يلقي قنابلهُ سبعة ايام متواصلة فتهدم فيها كثير من الابنية ونهبت اكثر البيوت ومن جملتها بيت القنصل الاميركي

وعاد المرسلون بعد ان هدات الحالة وجلا ابرهيم باشا عن بيروت فوجدوا املاكهم سالمة وكان العلم الاميركي لا يزال يخفق على بناء المرسلية خارج السور ولم يوثر فيهِ شيء سوى ان بعض القنابل اخترقت جدران البناء لكنهُ لم يتصدع ووجد ان قنبلتين انفجرتا في الدار فهدمتا قائمتي الباب اما المطبعة وادواتها فلم تصب باذى في حين كان يخشى ان يستولي الجنود على حروفها ويحولوها الى رصاص لبنادقهم وهكذا شاءت العناية حفظها فلم تتهدم ولم يحل بها ادنى ضرر وعاد المرسلون بهمة ونشاط فاستانفوا عملهم الذي لم يزل ينمو و يزدهر مع الايام



"عظيمٌ هو الرب وحميدٌ جدًا وليس لعظمتهِ استقصاء . دورٌ الى دور يسبح اعمالك وبجبروتك يخبرون" مز ١٤٥: ٣و٤

كيف اصطنعت الحروف

في السنة ١٨٣٦ رات المرسلية ان الحاجة ماسة الى استصناع حروف جديدة للمطبعة لان حرف لندن المستعمل حينئذٍ كان سقيماً وغير قانوني فضلاً عن انهُ لا يتوافق مع الذوق العربي فعهد الى الدكتور عالي سمث ليصلح ذلك النقص في الحروف لتتمكن المطبعة من القيام بالخدمة التي عاهدت نفسها على القيام بها خدمة صحيحة كاملة من كل الوجوه ورغبوا اليهِ في السفر الى المانيا لاستصناع الحروف اللازمة

وفي تلك الاثناء اعتلت صحة مسز سمث فاشار عليهِ المرسلون بالسفر الى ازمير مراعاة لصحة زوجتهِ وفيها يلتقي بمستر هلق فيتعاونان على تذليل الصعوبة التي تعترض مطبعتي ازمير وبيروت . وابحر الدكتور سمث ميمماً ازمير وبرفقتهِ زوجتهُ التي كانت تقاسي الامرين من دوار البحر والمرض وفي ذات ليلة بينما كان المركب يتهادى شمالاً ويميناً اصطدم بصخر فذعر الركاب وهبوا من اسرتهم وادركوا الخطر واسرعوا الى الزوارق فركبوها وغادروا المركب الذي لم يلبث ان ابتلعتهُ اللجج وتمكن الركاب والبحارة من الوصول الى احد الشواطىء القريبة وفي الصباح شاهدوا مركبًا مصريًا فاخذهم الربان في مركبهِ وعرض عليهم ايصالهم الى اقرب ميناء ولما توسطوا البحر اظهر كل لؤم وخيانة فانزلهم في ميناء سلوقيـــه وفرض عليهم الاجرة الباهظة كما شاء طمعهُ وطلب الدفع مقدماً وليحملهم على القبول بشروطهِ اوقف المركب في ذلك المكان المنفرد ٤٨ ساعة فقضى المسافرون يومين في العراء وكان طعامهم البقسماط الجاف الذي تمكنوا من تخليصهِ من مركبهم وبينما هم في هذه الحالة اقبل عليهم ثلاثة مراكب اخرى فاطمانوا الى نفوسهم واعلنوا الربان انهم عدلوا عن السفر معهُ ودفعوا لهُ ما طلبهُ ومضى في سبيلهِ

وظلوا في ذلك المكان يومين آخرين قبل ان تمكنوا من الاتفاق مع ربان احد المراكب الثلاثة الاخرى فنقلهم الى ازمير فدخلوها في اليوم الثالث عشر لغرق مركبهم وهو اليوم الثالث والثلاثين لسفرهم من بيروت وتوجه الدكتور سمث وقرينته الى الارسالية فاستقبلهم المرسلون واقاما في بيت القس تمبل

وكان تاثير هذه الصدمة شديدًا على مسز سمث فساءت صحتها وقضت بعد وصولها الى ازمير ببضعة اسابيع

وكان الدكتور سمث قبل سفره قد استكتب نفرًا من خطاطي مصر والاستانة والشام وجمع من خطوطهم مجموعة نفيسة من اجمل الخطوط وادقها ليصطنع عنها الابهات والامهات ففقدت هذه المجموعة في البحر ولم يتمكن من تخليصها

ولم يفت ذلك في عضد المرسل بل ضاعف عزيمته وعاد فجمع الخطوط ثانية وسافر الى ليبسك في المانيا ودفعها الى صناع ماهرين وكان يراقب العمل بنفسهِ فاخرج للطباعة العربية اجمل الحروف وادقها واتقنها لذلك العهد . ولما تم صنع الحروف العربية الجديدة انسع المجال امام المطبعة لتحسين مطبوعاتها لان الحرف الجديد يفوق القديم في جمال تركيبهِ وحسن خطهِ كما شهد بذلك الخطاطون واهل البلاد واصبحت الكتب اكثر اتقانًا واجمل منظرًا وليس فقط ان الحروف الجديدة اجمل واكمل من القديمة بل هي شديدة الشبه باحسن نماذج الخطوط المعروفة كما انها اسهل في الاستعمال وتفضل الحروف القديمة بامور كثيرة ولا سيما في صف الكتب المشكلة

فالحرف القديم يصف السطر الاول ويصف فوقهُ سطر للحركات الفوقية ويصف تحتهُ سطر اخر للحركات التحتية وكثيرًا ما كان يلتبس على القارئ اذا كانت الحركة للسطر الاعلى او للسطر الادنى اما الحروف الجديدة ففضلاً عن ان لا مجال للالتباس فيها فهي توفر الوقت وعوضًا عن صف ثلاثة اسطر يكتفى بسطر واحد وفي هذا وفر في الورق ايضًا لا يقل عن ١٠ بالمئة و٨ بالمئة تتوفر من الفسحات بين السطور

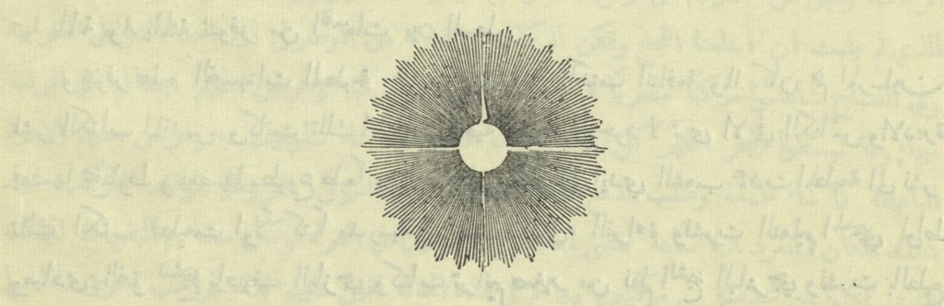
وبتوفر هذه التحسينات للمطبعة عمدت الى نشر الكتب النافعة ولما كان هم المرسلين نشر الكتاب المقدس وكانت تلك الاسفار الالهية نادرة الوجود لا ترى الا في الكنائس والاديرة بعضها مخطوط وبعضها مطبوع طبعًا سقيمًا وقلما وصلت الى ايدي الشعب عمدت المطبعة الى نشر تلك الكتب فطبعت اولاً كتبًا مدرسية في مبادئ القراءة ونشرت التعليم المسيحي ولواط ومبادئ النحو للشيخ ناصيف اليازجي وكتاب ترانيم صغير من نظم الشيخ اليازجي ونشرت بالطبع امثال سليمان والموعظة على الجبل والرسالة الى اهل افسس ومزامير داود واعمال الرسل

واعادت طبع هذه الاجزاء اكثر من مرة واعتمدت فيها على نسخة التوراة المعروفة حينئذٍ التي هذبها المطران سركيس الرزي الماروني مطران حلب وهي النسخة التي ترجمها الى اللاتينية وطبعها مع النسخة العربية المذكورة كما ذكر ذلك العلامتان الدويهي والدبس

وافتتح المرسلون المدارس الكثيرة في البلاد فنمت وازدهرت وحملت الغيرة باقي المرسليات فاكثرت من فتح المدارس حتى بلغت المئات وكثر الطلب على الكتب لاقبال الناس على العلم والمدارس وظلت المطبعة مدة ٤٠ سنة تمد البلاد بالكتب المدرسية والعلمية ويعول عليها وحدها للقيام بهذه الخدمة ومنذ ذلك الحين انشئت مطابع جديدة طبعت على غرار المطبعة الاميركانية واستعملت حروفها مثل مطبعة المعارف للبستاني والمطبعة الادبية لسركيس ومطبعة المقتطف ومطبعة القديس جاورجيوس ومطبعة صادر والمطبعة الكاثوليكية للاباء اليسوعيين الذين استعملوا الحرف الاميركاني ١٥ سنة الى ان استصنعوا الحرف المعروف باسمهم

ومما يجمل ذكره في هذا المقام ما كتبه الطيب الذكر نابغة الشرق وفقيد العلم والادب الدكتور يعقوب صروف احد صاحبي المقتطف في يوبيل المطبعة المئوي لتاسيسها في مالطة قال :

ان عدد النسخ من المطبوعات المختلفة التي طبعت في هذه الدار يفوق الالوف وقد يبلغ الملايين واذا اضفتم اليها الصحف والمجلات التي طبعت في مطابع تعلم منشؤها فن الطباعة فيها كمطبعة البستاني ومطبعة سركيس ومطبعة المقتطف اربى عدد المطبوعات على مئات الملايين وكلها — وكلها فيما اعلم — وهنا شيء تمتاز به هذه المطبعة وبناتها على كثير من المطابع — لم تخرج كتاباً الا وهو مفيد ولا طبعت رواية تابى ان تضعها في يد ابنك او ابنتك فكلها نفع ولا شيء فيها من الضرر





"ارسل نورك وحقك هما يهديانني" مز ٤٣:٣

كيف ترجم الكتاب المقدس

ذكرنا سابقًا ان المطبعة الاميركانية اخذت في نشر بعض اجزاء من الكتاب المقدس عن الترجمة التي هذبها المطران سركيس الرزي الماروني سنة ١٦٧١ وكانت هذه الترجمة تطبع كثيرًا في لندن بدون الاسفار غير القانونية وراى المرسلون حينئذٍ ان تلك الترجمة ضعيفة فائتة في كثير من الايات ولا سيما في الرسائل يدور المترجم حول المعنى الاصلي ولكن الفكر يبقى غير جلي مما يجعل ادق التعاليم في رسائل بولس تفقد قوتها كما ان بعض المعاني غير جلية في اسفار الانبياء وبعضها غير مفهوم والترجمة بوجه الاجمال ركيكة والكلمات لم يحسن اختيارها عدا عن ان قواعد اللغة لم يؤبه لها

ووجدت في ذلك الوقت ترجمة اخرى للعهد الجديد طبعتها جمعية نشر المعارف المسيحية في لندن سنة ١٧٢٧ وقد طبقها سليمان نقري على اليونانية بكل تدقيق فجاء التعبير مختلاً وفيها كثير من الكلمات الغريبة غير القاموسية

ووجدت طبعة اخرى للعهد الجديد ايضًا نشرها اربنيوس سنة ١٦١٦ تكاد تكون نسخة طبق الاصل للنسخة الكرشونية المترجمة عن السرياني القديم وهذه كان قد هذبها المطران جرمانوس من عهد غير بعيد وهي التي كانت مستعملة في الكنائس المارونية وقد قوبلت الترجمات ودقق فيها ليرى اذا كانت مناسبة ليبنى على اساسها تفسير الرسالة الى العبرانيين فوجد ان جميعها غير منطبقة على الاصل المترجمة عنه وعندئذٍ عزم المرسلون على القيام بترجمة جديدة صحيحة عن اللغات الاصلية وعهدوا بذلك الى الدكتور عالي سمث يعاونه فيها المعلم بطرس البستاني وانتدب الشيخ ناصيف اليازجي مصحح مطبوعات المطبعة آنئذٍ لضبط اللغة وقر الراي على ترجمة العهد القديم عن العبرانية والعهد الجديد عن اليونانية

وفي سنة ١٨٤٨ شرع القس سمث ورفيقه في العمل ولا تسل عن التعب الذي عاناه المترجمان في التحقيق والتدقيق والعناية التي بذلاها في ضبط الترجمة على الاصل وظلوا في عملهم الشاق ٨ سنين انموا فيها ترجمة اسفار موسى الخمسة والعهد الجديد واجزاء متفرقة من اسفار الانبياء وفي ذلك الحين دهم القدر المحتوم الدكتور عالي سمث فنضى في ١١ ك٢ سنة ١٨٥٧

وشعر المرسلون بعظم الخسارة وتوقف عمل الترجمة ولم يطل الوقت حتى عهد المرسلون الى الدكتور كرنيليوس فان ديك بمتابعتو وكان قد اتقن اللغة العربية والسريانية والعبرانية واليونانـــية والفرنسوية والايطالية والالمانية فشمر عن ساعد الجد واندفع بكليتو الى اتمام العمل ومع ما هو عليو من التضلع في اللغة لم يشاء ان يستقل بالعمل فاستعان بالشيخ يوسف الاسير الازهري لضبط الترجمة ودرج على خطة سلفو الدكتور سمث فكان يعنى كثيراً لتكون الترجمة مضبوطة ومطابقة للاصل غاية المطابقة وللتاكد من ذلك كان يرسل نحو ثلاثين نسخة من كل جزء قبل ان يطبع الى مشاهير العلماء من مسلمين ونصارى ووطنيين واجانب في جهات مختلفة من سوريا وفلسطين ومصر واحيانًا الى جرمانيا لاجل انتقاد اللغة والترجمة وتقييد كل ما يفتح الله عليهم بو من الاراء الحسنة وبعد ارجاع المسودات كانت تراجع بكل دقـــة وكانت كل الانتقادات والاستحسانات التي توجد موافقة وفي محلها تقبل ويعمل بموجبها وهكذا اشتركت عقول كثيرة من الوطنيين والاجانب في ذلك العمل المهم

فلا بدع والحالة هذه اذا جاءت الترجمة الجديدة من اصح الترجمات واضبطهـــا وكيف لا يكون ذلك وقد قام بها عالي سمث وبطرس البستاني وكرنيليوس فان ديك وكفى بذكر اسمائهم تعريفًا . وضبط ترجمتها على قواعد اللغة العربية وفصاحتها علمان من اعلام اللغة وهما الشيخ ناصيف اليازجي اللبناني والشيخ يوسف الاسير الازهري

وكان النجاز من ترجمة الكتاب المقدس كلو في ٢٢ آب سنة ١٨٦٤ ومن الطبعة الاولى منه في ٢٩ اذار سنة ١٨٦٥ اما العهد الجديد فكان قد اكمل قبل ذلك وطبع عدة مرات والطبعة الاولى كانت في اذار سنة ١٨٦٠

واحتفلت المطبعة في ١٠ اذار سنة ١٨٦٥ بتكميل طبع التوراة وفي تلك السنة سافر الدكتور فان ديك الى نيو يورك واصطنع صفائح نحاسية للتوراة البسيطة حرف ا ولما عاد الى سوريا احضر معه مستر صموئيل هلق فحص صفائح جميع نسخ التوراة والانجيل والاجزاء التي يبلغ عدها ٧٢ شكلاً وقد بلغ ثمن تلك الصفائح ٢٠٠ الف ريال اميركي هذا فضلاً عن النفقات العظيمة التي انفقت على الترجمة والطبع وكلها قامت بها المرسلية الاميركانية وجمعية التوراة الاميركانية التي لاتزال تبذل بسخاء في سبيل نشر الكتاب وتوزيعو في البلاد العربية وفي العالم باسره



كيف وضع البستان

رأت المطبعة الاميركانية حاجة المتأدبين الى معجم عربي يضم بين دفتيه ما احرزتهُ اسفار القوم وكانت المعاجم العربية نادرة فعمدت الى اهداء ابناء العربية سفراً لغوياً فخماً يسد هذه الثلمة وذلك تذكاراً لانقضاء مئة سنة على تأسيسها في مالطة وكانت قد وضعت قبله «المعجم العصري في اللسانين الانكليزي والعربي»

وفكرت في اول الامر باعادة طبع محيط المحيط للمرحوم المعلم بطرس البستاني الاّ انها عادت فرأت من الاوفق ان يعهد بوضع معجم جديد الى الشيخ عبدالله البستاني الذي كان منقطعاً عن التدريس في ابان الحرب الكبرى فانتدبته لهذا العمل الخطير وعقدت معه اتفاقاً على وضع معجم عربي على نسق المعجمات الافرنجية وانتجت هذه الفكرة التي نبتت في اشد ايام البؤس اطيب الثمرات واتحفت العالم العربي باعظم اثر للغة العربية في القرن العشرين وهو معجم البستان وفاكهته الذي اخرجته يراعة البستاني وطالما كان ذلك الاثر الخالد الضالة التي نشدها اساتذة اللغة ومحصلوها ومتأدبوها واقطاب ادابها

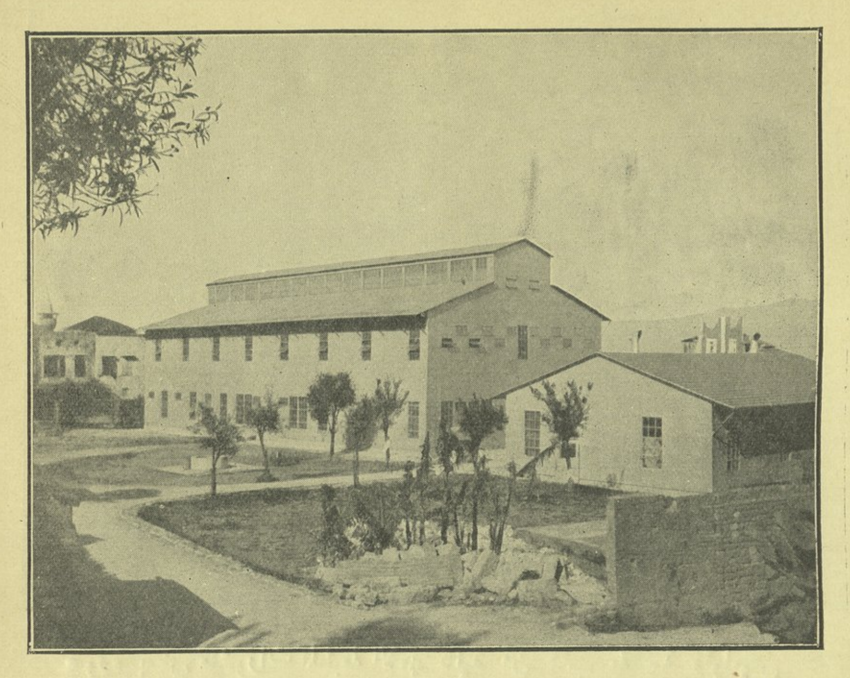
اما حكاية ذلك المعجم فهي كما يلي:

كان على رأس المطبعة الاميركية في ذلك الوقت القس بولس ارضمن مدير المطبعة الحالي وهو الذي وضع المعجم العربي الانكليزي المذكور انفاً بمساعدة خليل بك سعد واسعد افندي خير الله وعرف القس ارضمن فضل الشيخ عبدالله ومقدرته في اللغة وساءهُ ان لا تتيسر للشيخ الوسائط لاظهار اسرار دفائنه وفتح اغلاق خزائنه ولكن البـلاد كانت في حالة بؤس وتعاسة وعم اذاها المتأدبين والعلماء وفي جملتهم الشيخ عبد الله وكثيرون غيره من الذين فضلوا الموت جوعاً على التزلف الى اولياء الامر وحرق البخور فاستدعى مدير المطبعة الشيخ اليه وخابرهُ في وضع معجم عربي مستوفٍ على نسق جديد على ترتيب الحروف الهجائية حسب المشتقات فسر الشيخ بالفكرة واحضر بعد بضعة ايام مثالاً نال الاستحسان وتم الاتفاق بينهُ وبين مدير المطبعة

ودونت الاتفاقية ونالت توقيع الفريقين في ١٦ ش سنة ١٩١٨ على ان يؤلف الشيخ المعجم في مدة سنتين ويتناول كل شهر موقتاً عشر عثمانيات ذهباً و ١٢½ بعد الحرب وشرع الشيخ يعد المعدات لعمله الكبير في محل فسيح في مدرسة اللاهوت وبعد مدة بدأ العمل واءامه ٢٦ معجماً قديماً وحديثاً ولكنهُ بعد عمل سنتين متواليتين لم يتم سوى نحو ثلث المعجم مما جعل المطبعة تتوقف عن العمل وحصل الخلاف بين الفريقين ولم يطل الوقت حتى رجع مدير المطبعة فرد الاتفاق الى نصابه وسجلت اتفاقية اخرى تعهد فيها الشيخ باتمام تأليف المعجم ومختصره في مدة غير محدودة وتعهد المرسلون ان يؤدوهُ ثلاث مئة ليرة انكليزية ذهباً مقابل اتمام المؤلف تدفع المئة الاولى قبل بدأة العمل والمئة الثانية بعد سنة والمئة الثالثة بعد نهاية العمل وطبعه وامدالله في عمر الشيخ فاتم المؤلف ووقف على طبعه كله ولم يسمح الله له بان يراهُ مجلداً حتى تقر عيناه بمنظره كاملاً فقضى نحبه صباح الاحد في ١٦ شباط سنة ١٩٣٠

وقد انفقت المطبعة في هذا السبيل ما لا يقل عن اربعة الاف ليرة عثمانية ذهباً وقفتها على خدمة اللغة العربية تذكاراً ليوبيلها المئوي لتأسيسها وهي لا ترجو من وراء ذلك الا الخدمة العامة وسد حاجة المتأدبين والمتعلمين

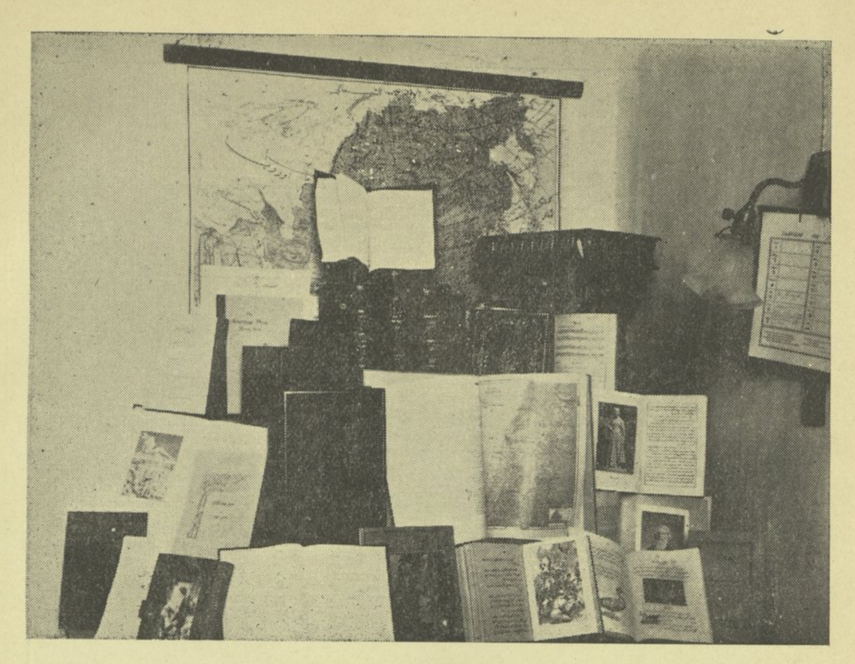
هذه بعض الاعمال التي قامت بها المطبعة الاميركانية في المئة سنة التي انقضت على وجودها في بيروت واذا جئنا نعدد جميع ما اصدرته من كتب الصرف والنحو والمعاني والبيان والمنطق والجغرافيا والجبر والهندسة واللوغارتمات وقياس المثلثات والباثولوجيا والفسيولوجيا والتشريح والجراحة والاقرباذين والنبات والكيمياء والفلك والفلسفة الطبيعية والعقلية وغيرها من الكتب المدرسية فضلاً عن الكتب المقدسة المختلفة الاحجام لضاق بنا المجال ولم تتسع هذه الصفحات لتعدادها



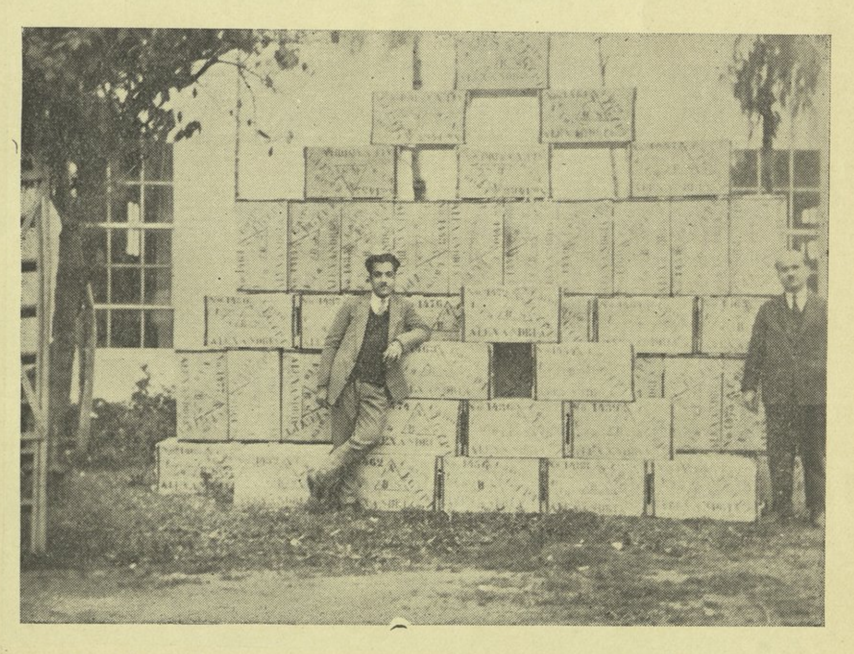
بنايات هلسي وهي ابنية المطبعة الجديدة التي شيدت سنة ١٩٢٢



صورة للمطبعة الجديدة اخذت سنة ١٩٢٧



صورة بعض منشورات المطبعة الاميركانية من كتب مقدسة وقواميس وتواريخ وجغرافيا وخارطات الخ



٥٢ صندوق كتب مقدسة معدة للشحن من المطبعة الى جمعية التوراة الاميركانية في القاهرة



خلاصة تاريخ المطبعة الاميركانية

منذ تاسيسها

تأسست في مالطة في ١٠ شباط سنة ١٨٢٢

طبعت اول عهد جديد في اللغة التركية بحرف ارمني لجمعية التوراة البريطانية

نقلت الى ازمير في ك ١ سنة ١٨٣٣

نقل القسم العربي من ازمير الى بيروت في ٨ ايار سنة ١٨٣٤

طبعت كتباً مقدسة وكتباً اخرى باللغات العربية والتركية والارمنية والعبرانية والكردية والشلك والافرنسية والانكليزية والاسبانيولية

طبعت المجلة الاولى في العربية ١٨٥٣ (مجموع فوائد)

طبعت الجريدة الاولى المصورة ١٨٦٣ (اخبار عن انتشار الانجيل)

طبعت الجريدة الاولى للاولاد ١٨٧٠ (كوكب الصبح المنير)

طبعت النشرة الاسبوعية ١٨٧٠

طبعت الكتاب المقدس على هيئات مختلفة بلغت ٧٢ شكلاً

طبعت ٢٬٣٠٠٬٠٠٠ نسخة من الكتاب المقدس واجزائه من حين بدائتها في عملها الى ١٩٢٢ لجمعية التوراة الاميركانية

طبعت ٢٬١١١٬٤٥٠ نسخة من الكتاب المقدس واجزائه من ١٩٢٢-١٩٣٢ لجمعية التوراة الاميركانية اي أن الذي طبعته في العشرة الاعوام الاخيرة يساوي ما طبعته في كل المدة السابقة تقريباً

طبعت منذ تأسيسها ١٬٧٧٠٬٠٠٠٬٠٠٠ صفحة من الكتاب المقدس والكتب الدينية والعلمية والادبية

اول من سبك الحرف العربي المشكل المعروف بالاميركاني الذي لا يزال يحسب من اضبط الحروف واجملها في العالم

صفحت بالنحاس جميع نسخ الكتاب المقدس على اختلاف اشكالها

صفحت كتب القراءة وبعض الكتب اللغوية والرياضية الكثيرة الرواج

المطبعة خزانة كتب في لغات عديدة

يحتوي برنامجها على ٤٠٠ مصنف في فروع متعددة عدا الكتب المقدسة

المطبعة مسقط راس التوراة العربية ومستودع لجمعية التوراة الاميركانية

وفيها مسبك للحروف العربية من كل الاجناس ولها عملاء في مراكش والجزائر وتونس وطرابلس الغرب ومصر والسودان وزنجبار وبلاد العرب وسوريا وفلسطين والعراق والعجم والهند وجزائر فيلبين واوستراليا وبرازيل والارجنتين وغيرها

كانت مطبوعاتها من الكتب المقدسة ١٩٢٢-١٩٣٢ على معدل ٢٠٠ الف نسخة كل سنة وقد بلغت مبيعاتها في هذه المدة ٨٥٦،٨٣٠ نسخة من الكتب الاخرى الدينية والعلمية والادبية اي بمعدل ٨٥،٦٨٣ نسخة سنويًا

غاية المطبعة الاولى نشر الكتاب المقدس ثم الكتب الدينية والمدرسيـــة لجميع المتكلمين باللغة العربية

المطبعة الاميركانية تفتتح القرن الثاني بيقين الرجاء انها تضاعف خدمتها في الكمية والكيفية بحيث توصل مطبوعاتها الى جميع المتكلمين باللغة العربية

المطبعة الاميركانية ترجو اصحاب الاقلام ان يمدوا اليها يد المساعدة بارسال مؤلفاتهم المفيدة لتطبع فيها





المطبعة الاميركانية

١٨٣٤-١٩٣٤

في بيروت

من مذكرات الشيخ اسعد خيرالله اقدم العاملين الاحياء في المطبعة الاميركانية واطولهم مدة

لما كانت المطبعة الاميركانية قد دخلت في السنة المئة منذ نقلها من مالطة السنة ١٨٣٤ طلب اليّ حضرة ناظرها الحالي القس ارضمن ان اقول كلمة فيها. فاطاعة للطلب ولو عن ضعف اذ قد هجرت الكتابة منذ اقالتي من المطبعة المذكورة بعد خدمة نصف قرن في تهذيب المطبوعات ومسك دفاتر الحسابات فيها

ولما كنت قد وضعت مقالة تاريخية مفصّلة عن اعمالها منذ تاسيسها في مالطة السنة ١٨٢٢ نشرت في المجموعة الخاصة مع ما تُلي من الخطب والرسائل واقوال الجرائد في الاحتفال المئوي الذي اقيم يومئذ رايت ان اكتب بعض ما لا يزال عالقاً في الذاكرة من الحوادث والملح والنوادر التي حدثت في اوقاتها مع الذين تولوا النظارة والادارة فيها

كان بقرب المطبعة معمل كازوز للخواجات برتران وهو الوحيد في تلك الايام يرتاده كثيرٌ من الادباء لشرب كاس كازوز بارد (طازه) وحدث ان دخلت اليه يوماً وكان الشيخ اسكندر العازار الحاضر النكتة جالساً مع بعض اصدقائه فاراد احدهم تعريفه بي فقال « أليس هو سكرتير المطبعة الاميركانية التي تأسست في مالطة ١٨٢٢ ونقلت الى بيروت ١٨٣٤! »

لا يخفى ان المطبعة لم يقتصر عملها على نشر المطبوعات الدينية والعلمية والادبية والتهذيبية التي كانت العامل الاول في اليقظة من ذلك الرقاد الطويل والنهضة الادبية في الشرق الادنى بل كانت المصرف للمرسليات الانجيلية ومودعة اماناتها والمركز الوحيد لقضاء حاجاتها والملجا الامين للمنكوبين في ايام الضيق كما في حادثة السنة الستين وفي مذابح الارمن في الاناضول حيث قامت بجمع الصدقات من نقود وملابس واثاث الخ وبتوزيعها بغاية الدقة والامانة بدون محاباة.

وفي جهادها الاخير في الحرب العالمية الكبرى اذ خدمت البلاد خدمة جلّي لا تزال تذكر بالشكر حيث كانت الصلة الوحيدة بين الاهلين وذويهم في المهجر . وذلك انها نشرت دعوة عامة في صحف الولايات المتحدة وكندا والبرازيل والمكسيك والارجنتين واستراليا والفيلبين واليابان « ان من اراد ارسال دراهم الى اهله فليدفعها الى مصرف المرسلية الاميركانية في نيويرك وادارة المطبعة الاميركانية في بيروت تقوم بايصالها بكل دقة وامانة » فكان ذلك سبباً لتخليص حياة الكثيرين من الموت جوعاً اذ ورد عن يدها الوف والوف الالوف من الدلارات بطرق عجيبة واساليب غريبة ليس الوقت لذكرها . فضلاً عما قامت بهِ من توزيع الصدقات من نقود وملابس ومآكل ارسلت من الصليب الاحمر مما حمل اولياء الامر وقتئذٍ على ابعاد الناظر وكاتب هذه الحروف الى الاناضول

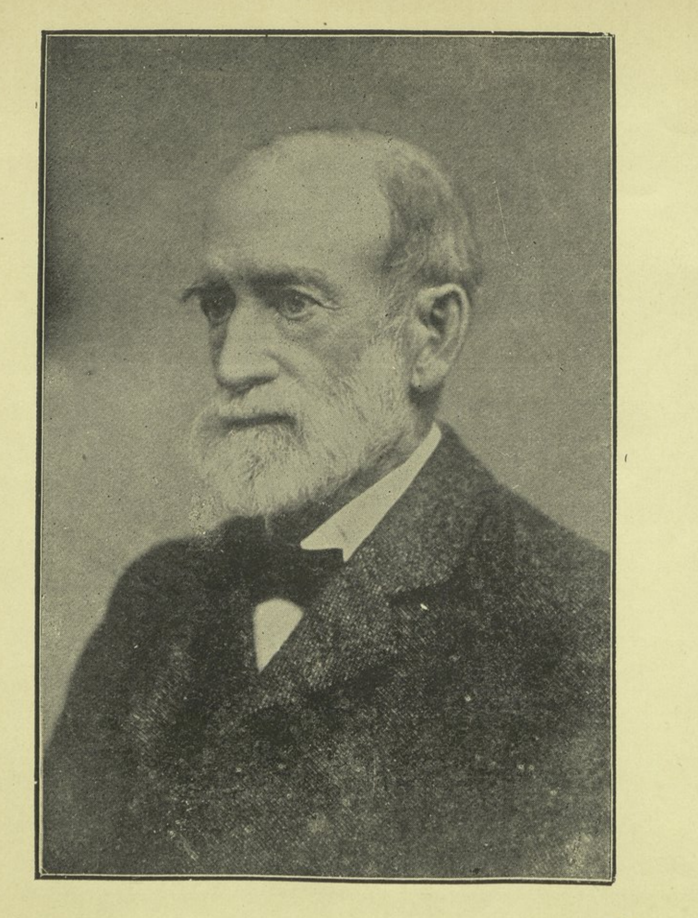
ومن اعمالها انها قامت كل هذه السنين بالوكالة عن جمعية التوراة الاميركانية وجمعية التوراة البريطانية وجمعيتي الكراريس البريطانية والاميركانية في تاليف وترجمة وطبع وبيع الكتب الدينية والادبية وتوزيع الكتاب المقدس مجاناً بحيث ترغب ان يكون في كل منزل نسخة منهُ . ومما ساعد على اتساع سوقها في انحاء المعمور من اليابان شرقاً الى مراكش غرباً والاميركتين انتشار اللغة العربية بين ملايين المسلمين وشتات السوريين في مختلف المهاجر

ان من يتصفح مجموعة الاحتفال المئوي المار ذكرهُ لا يجد ذكرًا للمطبعة الحجرية التي قامت بخدمة جلى في طبع الخرائط والاطالس وبعض الآيات الكتابية بحروف كبيرة وشجرة تاريخ الكنيسة واخص بالذكر اطلس التشريح للدكتور ورتبات وهو من الاهمية بمكان اذ اتى فيه على اسماء العظام والعضلات والشرايين والاوردة وسائر اعضاء الجسم باوضاعها العربية الاصلية مما يحتاج اليه الاطباء ولا سيما الذين يدرسون الطب في لغة اجنبية

ولما طُبعت خريطة الولايات العثمانية بقطع كبير على ست بلاطات قدمنا منها خمس نسخ للولاية واذ سُرَّ بها الوالي امر باستعمالها في مدارس الحكومة . وفي اليوم التالي استدعاني المكتوبجي فتفاءَلت خيراً ظاناً انهم سيطلبون منها عدداً كبيراً وعند وصولي رأيتهُ ناشراً الخريطة على مائدة ومعه ثلاثة من اركان الولاية فبادرني بالسؤال « كم نسخة طبعتم منها » قلت نحو الف نسخة . قال وهل جميعها ملونة نظير هذه قلت كلا بما ان التلوين باليد يكون تدريجاً حسب الطلب . قال « لماذا لونتم مصر وقبرس باللون الاحمر » قلت تمييزاً عما يجاورها من الولايات قال « لا بل تعنون انها من ممتلكات الانكليز » فللحال تبادر الى ذهني الاصطلاح الذي كان يستعمل يومئذ اي ان بلاد الانكليز ومستعمراتها باللون الاحمر والجمهوريات بالاصفر والممالك العثمانية بالخمري . ولا اعلم كيف سبق لساني فكري وقلت يا مولاي هل اذا كانت بدلتي سوداء وطربوشي احمر لا يكون لي



صورة مستودع الكتب غير المجلدة وطاولات جمع الكتب



الدكتور بوست خدم البلاد السورية من سنة ١٨٦٣ — ١٩٠٩

الشيخ ابرهيم الحوراني مؤلف ومترجم
من ١٨٨٠ — ١٩١٦



الحكيم كرنيليوس ڤانديك خدم البلاد السورية
من سنة ١٨٤٠ — ١٨٩٥

فقال غاضباً ما هذا المزاح اذهب حالاً وقل لرئيس المطبعة اياكم ان تلونوا مصر بغير اللون الخمري. فاجبت سمعاً وطاعة ومن ذلك الحين صار لون مصر وطرابلس الغرب خمرياً. وبهذه المناسبة لا باس من ذكر بعض الملح في ايام مراقبة المطبوعات الشديدة في عصر السلطان عبد الحميد اذ كان القانون يقضي بارسال نسختين من الكتب التي يراد طبعها الى مجلس المعارف في الاستانة فتعاد نسخة بعد مكثها مدة في يد المراقب محذوفاً منها كل العبارات التي يشتمّ منها رائحة السياسة والفاظ حرية استقلال ملك سلطان خليفة مراد استبداد الخ يجب نزعها من المعاجم وبعد الطبع يرسل اربع نسخ للمقابلة يرجع منها نسخة موسومة بهذه العبارة (نشر اولمشدر)

ومن شاء الوقوف على هذه المعاملات فليراجع الكتب المخطوطة الراجعة من المراقبة المحفوظة على احد رفوف المطبعة

ولتفكهة القارىء اذكر بعض غرائب المراقبين – استدعاني المكتوبجي يوماً وعند وصولي امامهُ فتح انجيل لوقا واشار الى مثل قاضي الظلم حيث يقول كان في مدينة قاضٍ لا يخاف الله الخ وقال يلزم ابدال قاضٍ برجل لانهُ ليس في محاكمنا قاضٍ لا يخاف الله فقلت له ان هذا كان في يام سيدنا عيسى في حكم الرومانيين فضلاً عن النص الصريح ان لا احد من المسيحيين يجسر ان يحذف او يزيد حرفاً واحداً في المكتوبات المقدسة لئلا يحذف اسمه من سفر الحياة

ومرة عادت اليَّ احدى المسودات وفيها هذه العبارة « ما لك هنا يا ايليا » مضروباً على لفظة ما لك ومكتوباً مقابلها يجب ابدالها بلفظ « كونث » في كل الكتاب

ومرة استدعى المراقب في الاستانة مدير جمعية التوراة وسألهُ من هو كاتب هذه الجملة « ايها الغلاطيون الاغبياء الخ » قال بولس الرسول احد حواري المسيح قال كيمك بو بولس الا يعرف ان في غلطه (حي في الاستانه) الوزراء والسفراء وعظماء الدولة فكيف يقول عنهم اغبياء

ولا بد من ذكر الاعلام الذين تولوا النظارة منذ تاسيسها في مالطة القس تمبل وفي بيروت الدكاترة عالي سمث وفان ديك وهنري جسب وصموئيل جسب ومستر فرير وتشارلس دانا وغيرهم من اعضاء المرسلية في فترات قصيرة والمديرين هرتر وهلق وكلكلر والمؤلفين الاجانب نحو العشرين منهم فان ديك وبوست وورتبات وأَيس وجسب وادي وكاهون والوطنيين نحو الخمسين منهم اليازجي والبستاني ومشاقه ومركيس والحوراني ونوفل والشدودي وهمام وغيرهم ومئات العمال على اختلاف العمل من سبك الحروف والتنحيس وجمع الحروف والطبع والتجليد منهم امين سركيس وفهد المعلوف وابرهيم مشعلاني ونخله صابونجي وجرجس شمعون وخليل نصر وشاكر نجار وفارس مشعلاني وامين الكوراني وهرش البوت ويشوع روزنتال وكلينكخت وروزنزويك وحنا القاضي و . و .

اختار الدكتور عالي سمث بحمدون للمصيف وكان بصحبةُ الدكتور دفورست طبيب المرسلية وحدث يوماً ان اتاهُ رجل في حالة القلق ماسكاً ولداً وهو يصرخ دخلك يا حكيم ابني فقال لهُ الحكيم سكن روعك واخبرني ما لابنك قال انه وضع «نحاسة» في فمهِ وها هي في زلعومه فان بقيت تخنقهُ وان بلعها يتمزق مصرانه فارتبك الحكيم وقال لا اقدر ان اعمل لهُ شيئاً لان جزدان الالات في بيروت وكان في الحضرة صاحب البيت وهو حكيم بلدي فقال لهُ هل تسمح لي يا حكيم ان استخرجها فقال لهُ وكيف ذلك قال انظر اليّ وعمد الى زيزفونة في الدار واقتطع منها عوداً في راسه مزلوف فبراهُ ورققهُ ثم اوقف الولد مع الحائط وفتح فمه للشمس وادخل العود بجانب الزلعوم حتى تجاوز النحاسة ثم اداره بحيث صار كالسنارة وسحبهُ بسرعة فصارت النحاسة خارجاً فصفق الدكتور عالي سمث طرباً وقال للحكيم دفورست أنظرت حكمة السوري اذهب وافعل كذلك

اما الدكتور فان ديك فاكتفي بما قال فيهِ رياض باشا الوزير المصري في حديث دار على الاقطاب الذين سطعت شموسهم في سماء العلم وفاح نشر فضلهم فعطر ارجاء الشرق قال: يباهي البعض بما تحويه صدورهم من دقائق العلوم ويتغافلون عما يجب عليهم من الخدمة والسعي لترقية اوطانهم وانارة اذهان بني قومهم فليس لمثل هولاء منزلة رفيعة في اعتباري ومع ان الحظ لم يسعدني بلقاء الرجل حينما ارى امامي تآليفه العديدة قصد تعليم اولاد البلاد واحادث الذين اقتبسوا العلم والادب والتهذيب عنه فاجدهم من خيرة الرجال وتبلغني اثاره ومآثره وما يقوم بهِ من الاعمال في المطبعة التي انشاؤها لخدمة الديار الشرقية اقول قول من عرفه بنفسهِ ان الرجل نزل الشرق كنزاً للفضائل والفواضل وبحراً للعوارف والمعارف فحق لهُ الثناء وحق علينا الوفاء والولاء

واذكر من شدة تدقيقهِ في ضبط المطبوعات ومحافظتهِ على قواعد اللغة ان ارسلت اليه مسودة فيها كلمة سلّور السمك المعروف فنقل الشدة فتحة الى الواو وكتب بجانبها اما سمعت الشاعر العامي يقول « سلَوّر بالقدر وبلي علو جا القط اكلو وبلي علو فعجبت من سمة اطلاعهِ وقوة ذاكرتهِ

وارسل يوماً مقالة للنشرة تحت عنوان «الاتحاد» وفيها حضّ على وجوب وحدة الكنيسة المسيحية على اختلاف الصبغة فعادت من عند المراقب وقد حذفها برمتها فقال لي أبقِ حروفها مجموعة كما هي وبعد اسبوعين انشرها تحت هذا الراس «كان ما كان في قديم الزمان» ففعلت ومرّ عليها المراقب بدون ان يمس حرفاً منها

وعندما قدّم الدكتور بوست قاموس الكتاب المقدس للطبع سألني ان اراجع المسودة الاخيرة وسمح لي باصلاح وابدال بعض الالفاظ بما هو اكثر مناسبة وحدث انني وجدت في

احدى المسودات ما يلزمه تغيير وتبديل يستلزم رفع الطبع عن الطابعة فتذمّر جامع الحروف وابى التصليح المطلوب فرفضت السماح بالطبع الى ان يصلح كما اريد ولما حضر الدكتور بوست وعرف بواقعة الحال قال لي بالحرف الواحد يا ابني انني اذكر لما كنت في سنك وبدا الشيب في شعري كانت الست تنقي الشعرات البيض من لحيتي اما الآن اذا فعلت ذلك تصير لحيتي اشبه بصبيرة طمسن فارجوك ان تصلح الاغلاط المطبعية وتبقي اللغة على ما هي

ولما وصلنا الى لفظة صنوبر الواردة مرة واحدة وذلك في نبوة اشعيا ١٤:٤٤ اثبتها في حرف س فعلمت على المسودة «انقلها الى حرف ص» فابى ذلك عليَّ وقال انني اكتب قاموس الكتاب وقد وجدتها في كل النسخ (سنوبر) بالسين فاستغربت ذلك وراجعت نسخ التوراة على اختلافها فوجدت ذلك كما قال فزاد استغرابي كيف مرّت على قرّاء المسودات وانا احدهم ولم ينتبهوا الى ذلك وبالطبع بادرت الى اصلاحها في النسخ الجديدة وفي الصفائح

هذا بعض من كلٍّ مما قامت بهِ المطبعة من جليل الاعمال في خدمة بلاد المشرق فسح الله في اجلها وزادها نموًّا وقوة بمنه وكرمه

اسعد خير الله

ملخص

الخطبة التي القاها في يوبيل المطبعة المثوي لتاسيسها سنة ١٨٢٢ المعيد الذكر السيد

غريغوريوس الرابع

البطريرك الانطاكي وسائر المشرق على طائفة الروم الارثوذكس

نعيد نشرها بمناسبة انقضاء مئة عام على انتقال المطبعة الى بيروت

دعيت الى الاحتفاء بهذا العيد لمرور مئة سنة على المطبعة الاميركانية منذ تاسيسها في جزيرة مالطة . ولم اشاء ان احضر وحدي فاصحبت معي رفيقًا لي منذ نشأتي عمره اجيالاً اكثر من عدد سني حياتي

(وحدث لما مد يده ليخرج الكتاب المقدس انطفأت الانوار الكهربائية فقال على النور)

متى ظهر النور الحقيقي تنطفئ الانوار الاصطناعية

تلقيت مبادىء العلوم في المدرسة التي اسسها المرسلون الاميركان في قرية عبيه مسقط راسي على يد السعيد الذكر معلمي الدكتور وليم كلهون ودرست في الكتب التي طبعت في هذه المطبعة الزاهرة التي نحتفل بعيدها المثوي

ولا يخفى ما كانت عليه بلاد المشرق في تلك الايام من الجهل والغباوة لعدم وجود وسائل التعليم اذ لم يكن مدارس ولا كتب ولا جرائد . فبادرت المرسلة المذكورة وفتحت المدارس في قرى عديدة من سورية ولبنان وكانت المطبعة تمدها بالكتب اللازمة من لغوية ورياضية وتاريخية وادبية بالنسبة الى رقيها وتقدمها . ومن اجل مطبوعاتها واثمنها الكتاب المقدس الذي كان نادر الوجود غالي الثمن اما الان بفضل المطبعة المذكورة صار يتيسر لكل واحد غنيًا كان او فقيرًا ان يقتني نسخة منه بثمن زهيد جدًا وقد استعملناه في مدارسنا الارثوذكسية في فلسطين وسورية ولبنان بحيث يدرسه كل تلميذ فيها

ولما كان فن الطباعة في هذه الديار معدومًا اذ اقتصر على بعض مطابع يد صغيرة في بعض الاديار وكانت رجال البعثة الاميركانية قد اعدت حرفًا جميلاً عرف بالاميركاني تاسس عدد ليس بقليل من المطابع للطوائف المختلفة وجميعها تناولت حروفها من هذه المطبعة و بقيت

تستعملها مدة الى ان ظهر الحرف الاسلامبولي وغيره فالفضل في ترقية هذه الصناعة للسابق

ولم يقتصر عمل المطبعة على نشر العلوم والمعارف فقط بل فتحت ابوابها في كل الكوارث التي المت بهذه البلاد فكانت تتولى توزيع الاحسان على المنكوبين من كل الطوائف . وما شاهدناه في الحرب الاخيرة من العناية والاهتمام من المحتاجين والمهاجرين والايتام كيف فتحت لهم الملاجئ وامدتهم بالطعام واللباس المجموع في الولايات المتحدة ولا يزالون قائمين بهذا العمل المبرور الى الان

فبناء على ما ذكر واعترافًا بالجميل نسدي الشكر للمرسلية الاميركية وللاميركان الذين امدوها بالاموال حتى قامت بالاعمال المذكورة . ولا يخفى ان دخول اميركا مع الحلفاء في الحرب الكونية قد خفف ويلاتها وعجل في انهائها وقد سارت مع فرنسا الدولة المنتدبة علينا يدًا بيد لتحرير الشعوب الضعيفة وتدريبها لكي تنال استقلالها

ابيات

للطيب الذكر والاثر الشيخ احمد عباس الازهري موسس الكلية الاسلامية في بيروت تليت في يوبيل المطبعة الاميركانية السابق

لله مطبعة بحسن طباعها ... احيت عظام الكتب وهي رميمُ
كم من كتاب كان مات بجلده ... وبطيه نفع هنــــاك عميمُ
نسجت عليه يد العناكب بيتها ... ولكم به نال الشفاء سقيمُ
نشرته بعد الطي مطبعة لها ... فضل باحياء العلوم عظيمُ
قد زادها مرُّ العصور تجددًا ... ولذا علاها نضرة ونعيمُ
فلقد اتى قرن على تأسيسها ... ولها به وجه اغر وسيمُ
شكرًا لها ولفتية قاموا بها ... ما هب في الروض النضير نسيمُ

اهمية فن الطباعة في الرقي

او

خدمة المطبعة الاميركانية مائة سنة لابناء الشرق

بين الفنون الهامة التي افادت الانسان افادة جلى فن الطباعة ولا لوم علينا ولا تثريب اذا قلنا ان هذا الفن هو محور بقية الفنون الشريفة الحرة كالطب والمحاماة والهندسة والاختراع الخ لان اساس هذه الفنون كلها هو العلوم الحديثة ، ورقي العلوم ترتكز دعائمهُ على فن الطباعة اذ لولا هذا الفن لكانت الصعوبات تحيط بانتشار العلم ورقيهِ لا بل تقف في سبيلهِ سدًّا منيعًا

فان الطباعة اشبه بآلة تحمل النور الذي تولده ادمغة العلماء والنوابغ لتوزعه على ابنـــاء الاجيال ولولاها لعجز هؤُلاء الاعلام عن ان يدونوا ما جادت بهِ قرائحهم ولما استطاع ابناء القرون الغابرة من ان يكتبوا اخبار تمدنهم وحوادثهم وآثارهم

وانتشار المدارس ودور العلم الكبرى مدين لتقدم فن الطبـــاعة ومَن يرجع الى التاريخ يتضح لهُ ان في الزمان القديم كانت المدارس نادرة ودور العلم مفقودة وانوار الآداب ضئيلة والامية تسود الناس في ذلك العصر حتى لو رغب المرء ان يتعمق في العلوم لما تيسرت لهُ الكتب التي كان يحتاج اليها ، وهكذا فان القوة الادبية التي يتمتع بها ابناء القرن العشرين هي بفضل سهولة الطباعة

واذا كان للصحافة فضل عميم على الشعوب لانهـــا تحسب كمدرسة تثقف الاخلاق وتصقل الآداب وتدافع عن الحقوق وتقف بجانب المظلوم وتحمل على الظالم ، فان هذه الصحف مدينة ايضًا لفن الطباعة اذ لولا الآلات الطابعة الحديثة وسرعتها واستنباط الطرق لسهولة تنضيد الحروف لتعذر على اصحاب تلك المجلات والصحف اصدارها يومية بحجم كبير او بالاحرى مرتين في اليوم وتوزيعها في كل انحاء المعمور بثمن بخس

اذًا التمدن الذي نفتخر بهِ يعود فضلهُ ايضًا الى فن الطباعة واذا لم يكن مباشرة فبالواسطة وعندي ان كل مَن لا يعترف بفضل الذين بذلوا جهودهم في استنباط هذا الفن او عملوا على انتشاره وتحسينهِ في كل مكان وزمان فهو ولا ريب جاحد الجميل و يابى ان يعطي كل ذي حق حقهُ وبهذا يغت من عزيمة الذين يجاهدون في سبيل خير الانسانية ورقي العلوم

والاداب بدلاً من ان يشجعهم في طريقهم نحو هدفهم السامي ، وهذا خطأ وعلى كل شعب راقٍ يريد ان يحيا حياةً حرة ان يتلافاه

من الذين اسسوا فن الطباعة في الشرق المرسلون الاميركانيون حيث مضى على مطبعتهم في بيروت قرن كامل واليها يعود الفضل في نقل ما انتجتهُ ادمغة العلماء الاعلام والادباء المفكرين الى ابناء الشرق فاستضاءوا بانوار علومهم وتبددت ظلمة الجهل التي كانت تنصب سرادق في سماء وطنهم بفضل ما طبعتهُ ونشرته من الكتب التي تبحث كل نواحي العلوم . والمرسلون نفسهم اسسوا كثيرًا من المدارس التي نمت نموًا طبيعيًا الى ان تحولت الان الى معامل الادمغة المفكرة حيث خرّجت رجالاً اختصاصيين في جميع دوائر العالم المختلفة

قلنا ان الفضل للمرسلين الاميركيين في تأسيس فن الطباعة في الشرق ولكن لو انصفنا لقلنا "اختراع الطباعة" في الشرق لانهم هم اول من استنبطوا الحروف العربية بصيغتها الجديدة الجلية ، ومن ذلك الحين بدأت الغيرة تدب فى الاخرين فاخذوا عنهم هذا الفن وكثر عدد المطابع في بيروت وغيرها من المدن الشرقية

اجل ، ان فن الطباعة قوة عظيمة ولكن اذا أُستخدمت هذه القوة للربح المادي فقط دون ما نظر الى نشر العلم والادب الصحيحين فلا ريب بان تتشوه الفائدة هذا اذا لم تنقلب الى ضرر

عند هذه النقطة يجدر بادباء الشرق ان يحيوا الغاية الشريفة التي ثابرت عليها المطبعة الاميركانية طيلة قرن كامل ألاَ وهي خدمة قوة الطباعة المهذبة السامية والسليمة من كل شائبة .
وهناك مئات الالوف من الشبان المتخرجين من المدارس والجامعات شهود عدلٍ على قولي هذا اذ ان لا كتابًا درسوه من دبني وادبي وعلمي وفلسفي الا وطبع عليهِ اسم المطبعة الاميركانية

ولا غروَ فان هذه المطبعة لم تضع هدفها الكسب المادي بل ارسال نور الانجيل اولاً في هذا الشرق فقد علمت من ثقةٍ انها طبعت من الكتاب المقدس ملايين النسخ وزعتها بثمن اقل من اكلافها تشد ازرها بهذا العمل الشريف جمعية التوراة الاميركانية وكانت اذا خسرت مبلغًا من المال في كل سنة تعد الادارة ذلك ربحًا بالنسبة الى تنفيذ رغبتها الشريفة فهي والحالة هذه كانت ولا تزال اكبر مساعد لابناء الشرق في طريقهم الى قمة العلم والرقي

فنحن نقدر لها هذه الجهود التي بذلتها وتبذلها في خدمة الدين والعلم ولا سيما للغتنا العربية وبمناسبة عيدها المئوي الذي اكملت مرحلتهُ الشاسعة في ٨ ايار من سنة ١٩٢٤ نغتنم هذه السانحة ونقدم للمرسلين الاميركانيين اخلص ما يكنهُ فؤادنا لهم من التهانيء بالفوز الذي احرزوه بثباتهم في حلبة عملهم الانساني المجيد ، ناصر نصر

بيروت في ايار سنة ١٩٢٤

المطبعة الاميركانية

للاستاذ جورج اشقر

من يروي تاريخ المطبعة الاميركانية فكأنهُ يروي تاريخ عمل المرسلين في سوريا ذلك العمل الذي رافق النهضة الفكرية في البلاد ولندرك اهمية ما قامت بهِ المطبعة الاميركانية لا بد لنا ان نعرف شيئاً عن حالة التهذيب في ذلك العصر

من مضي مئة سنة كانت المدارس في يد افراد من الرهبان والمشايخ وبرنامج الدروس كان الالمام بقراءة المزامير لدى الرهبان والقرآن عند الشيخ وكان مطمح المتعلمين وغرضهم الاهم ان يتوصل الطالب الى قراءة الرسائل والمزامير صباح الاحاد في الكنائس وكان جل اعتماد هذه المدارس على كراريس تطبعها مطبعة مار يوحنا الطبشي · وكانت مدارس اكليركية اخرى تعتمد على الكتب المخطوطة فلا يستعمل فيها سواها وكانت تلك الكتب نادرة لا توجد مجموعاتها الا لدى بعض الافراد وعددهم لا يتجاوز عدد اصابع الكف

وكانوا في بعض القرى اللبنانية والبقاعية يعنون بتعليم الولد القراءة ليتمكن من قراءة قصة بني هلال وعنتر والزير تلك كانت غايتهم الاولية وكنت ترى الوالدين يزدهون فخراً حينما يرون ابنهم يترنح بقراءة قصص اولئك الابطال في السهرات وحوله جمهور من الاهل والجيران يصغون الى كل كلمة من فيه ويعجبون بفطنته وفصاحته وينسبون تفوقه في القراءة والتجويد الى معلمه

وسادت المهاجرة بعد ذلك فانصرفت الافكار الى اتقان الخط وتنميق التحارير وكان فخر الاب ان يرى جمهور القرية يلتف حول ابنه ليكتب لهم تحاريرهم الى انسبائهم المغتربين وكان خطه وانشاؤه يشهد لمعلمه بصفاته ومؤهلاته · وعم تيار المهاجرة بعدئذٍ فتحول قصد التهذيب الى غرض تجاري فصار هدف التلميذ في المدرسة تحصيل المعرفة للوصول الى مركز استخدام في حكومة مصر او السودان او في مكان آخر سواء كان في البلاد او في خارجها

وكان للمطبعة الاميركانية يد كريمة في مساعدة رقي البلاد العلمية ونهضتها الادبية نفصلها في ما يلي :

١ً كانت الكتب في ذلك العهد قليلة جداً ومتى عرفت ذلك يمكنك ان تتصور الجهود التي قام بها قيمو المطبعة الاول فانهم اندفعوا الى تحقيق هذه الامنية بهمة لا تعرف الملل وفي وقت قصير اصبح بوسع المطبعة ان تمد الطلاب بالكتب المدرسية في المواضيع المختلفة في الطب والحساب والرياضيات العالية وكتب القراءة والعلوم ودفاتر الخط والجغرافيا والخارطات وكتب اللغة وغيرها من المواضيع وكلها باللغة العربية مطبوعة طبعاً جيداً ومزينة بالرسوم والصور وعدا ذلك فقد طبعت كتباً عديدة للمطالعة وكثيراً من الكتب الدينية

٢ً قامت المطبعة بدور الوسيط في نقلها للشرق كتباً عديدة في اللغات الانكليزية والافرنسية والالمانية وما عمل دائرة الكتب الاجنبية في المطبعة الاميركانية بالعمل الهين نظراً لما يقتضيه من الجهود والدرس والاستقصاء

٣ً عجل انشاء المطبعة الاميركانية انشاء دور طباعة اخرى في البلاد وهي بحق ام لبعض المطابع المشهورة في سوريا ومصر . وقد كنا نظن ان هنالك منافسة حادة بينها وبين مطبعة اخرى تحت ادارة اخرى ولكن ثبت ان الواحدة كانت تعمل فيما ينقص الثانية فكان من ذلك تعاون فعال لترقية العقلية في البلاد

٤ً كانت المطبعة ازمن مصرفاً ومستودع امانات ولا سيما للمرسليات ومكتب استعلامات وهنالك اعتقاد عام ان راي المطبعة الاميركانية مقدم في كل ما يختص بالتهذيب والكتب وقد اشتهر عنها لدى الخاص والعام ان كل كتاب ينشر بعنايتها لا ريب في فائدته ولا بد انه نافع وصحيح وجدير بالاعتبار

هذا من حيث الامور العمومية اما من حيث اختباري الشخصي في مدة العشرين سنة التي قضيتها في خدمتها فاقسم الكلام عنه الى ثلاثة اقسام ١ً الموظفون ٢ً الروح التي يجري بها العمل ٣ً التنشيط الذي يرافقه

المديرون . بدأت عملي في المطبعة تحت ادارة مستر فرير الذي اسدى للمطبعة وعمالها بنظامه العسكري اجل خدمة في الضبط والدقة اذ جعل التقيد بالوقت والنظام عادة متأصلة في كل عامل بحيث ان كل من عمل معه ادرك اهمية تلك العادة . اما المستر كلكلو مدير الاعمال فكان دائماً مثال السرور والمفاكهة وكان مشهوراً بمعرفة حاجة كل زبون فلا يخرج احد من مكتبه الا راضياً كما انه كان طباعاً ماهراً ومديراً حازماً وكان العملة يرون فيه رجلاً حساساً يتأثر لاحوالهم وعلى استعداد دائم لمساعدتهم

وممن لا ازال اذكرهم المرحوم الشيخ ابرهيم الحوراني وهو المعروف برقته وادابه وصفاته العالية وعشرته المسرة كان حينما دخلت المطبعة في دور العجز ولا يجهل احد العمل الذي قام به في النشرة

واثاره الادبية ومنشوراته العلمية برهان واضح على تفوقه ونبوغه واجتهاده وظلت النشرة خمسة عشر عاماً بعد وفاته تنشر لهُ مقالاته التي اعدها قبل وفاته

ولا انسى المرحومين اسكندر صافي وتقولا غبريل اللذين عملا سنين قليلة في المطبعة ولكنهما اتما قسطهما بامانة واخلاص

ويضيق بي المجال لو جئت اعدد اختباراتي مع الكثيرين من موظفي المطبعة كخيرالله وماكرتي وجريديني وشمعون ونجار وبجاني وغزال وغيرهم من الذين لا يزالون الى الآن قائمين باعمالهم في المطبعة بنشاط وامانة

ولا بد ان قصة المطبعة تكون غير كاملة اذا لم نشر الى العمل الجيد الذي قام بها مديرها شارلس دانا في مدة الحرب والى الجهود الجبارة التي بذلها لمعاضدة البلاد ومساعدتها في محنتها الشاملة

٢ً الروح التي يجري بها العمل روح تهذيبية فانهُ في العشرين سنة التي قضيتها في المطبعة لا اذكر يوماً ان حادثة هامة قطعت مجرى النظام في حين ان الجمهور العامل مزيج مختلف الاخلاق والعادات والطباع والمحيط ومع ذلك كان العمل يجري بهدو واجتهاد دون ان يحصل اي احتكاك يفضي الى الخلاف والقتال وهذا مما يفتخر به ويذكر بالاكبار والاعجاب. لقد كنا نعمل ولكنهُ لم يدر يوماً في خلد احدٍ اننا مستخدمون وكنا نجتهد دون ان نفكر قط في آخر الشهر ليس هذا لفضل فينا نحن فحسب بل لان رؤساءنا افاضل ايضاً

٣ً ان روح التنشيط مظهر آخر من مظاهر المطبعة الاميركانية فان احد الموظفين بدأ عمله فيها وهو يكاد يكون امياً اما اليوم فهو يتقن اللغتين العربية والانكليزية قراءة وكتابة وقد خبرت ذلك بنفسي لان التشجيع الذي لاقيتهُ في المطبعة جعل مني كاتباً مولعا بالعلوم ومحرراً في النشرة ومؤلفاً هذا بقطع النظر عن اكتسابي في هذه العشرين سنة صداقة جمهور المرسلين الاميركان الغالية ومودة اعضاء ارساليات اخرى

اجل ان تلك السنين كانت احسن ايام حياتي ولا يزال ذكرها يعذب في ذاكرتي واني لاعتز بالصداقات التي ربحتها ابان عملي في المطبعة الاميركانية

جورج اشقر



